يأتي بعد الموت تنبيه عسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهار الوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده ولما كان التقدير فان ربك لا يعجل على هذا العاصي بالانتقام مع تمام قدرته عطف عليه وان ربك اي المحسن اليك بالحلم على امتك لذو فضل اي تفضل وانعام على الناس اي كافة ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه بل يستعجلون لجهلهم العذاب قال ابن عادل وهذه الاية تبطل قول من قال لا نعمة لله على الكفار وان ربك اي والحال انه ليعلم ما تكن اي تضمر وتستر وتخفي صدورهم اي الناس كلهم فضلا عن قومك وما يعلنون اي يظهرون من عداوتك وغيرها فيجازيهم على ذلك وما من غائبة في السماء والارض اي في اي موضع كان منهما وافردهما دلالة على ارادة الجنس الشامل لكل فرد تنبيه في هذه التاء وجهان احدهما انها للمبالغة كرواية وعلامة وقولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه تعالى قال وما من شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله تعالى والثاني انها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العافية والعاقبة قال الزمخشري ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في انها اسماء غير صفات الا في كتاب هو اللوح المحفوظ كتب فيه ذلك قبل ايجاده لانه لا يكون شيء الا بعلمه وتقديره مبين اي ظاهر لمن ينظر فيه من الملائكة ولما تمم تعالى الكلام في اثبات المبدأ والمعاد ذكر بعده ما يتعلق بالنبوة بقوله تعالى ان هذا القرآن اي الآتي به هذا النبي الامي الذي لم يعرف قبله علما ولا خالط عالما يقص على بني اسرائيل اي الموجودين في زمان نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر الذي هم فيه يختلفون اي من امر الدين وان بالغوا في كتمه كقصة الزاني المحصن في اخفائهم اية الرجم وقصة عزير والمسيح واخراج النبي صلى الله عليه وسلم من توراتهم فصح تحقيقه على من لم يعلم قط يعلم نبوته صلى الله عليه وسلم لان ذلك لا يكون الا من عند الله ثم وصف تعالى فضل هذا القرآن بقوله تعالى وانه لهدى اي من الضلالة لما فيه من الدلائل على التوحيد والحشر والنشر والنبوة وشرح صفات الله تعالى ورحمة اي نعمة واكرام للمؤمنين اي الذين طبعتهم على الايمان فهو صفة لهم راسخة كما انه للكافرين وقر في اذانهم وعمى في قلوبهم ولما ذكر تعالى دليل فضله اتبعه دليل عدله بقوله تعالى ان ربك اي المحسن اليك بما لم يصل اليه احد يقضي بينهم اي بين جميع المختلفين بحكمه الذي هو اعدل حكم واتقنه وانفذه فان قيل القضاء والحكم فان قيل القضاء والحكم شيء واحد فقوله تعالى يقضي بحكمه كقوله يقضي بقضائه ويحكم بحكمه اجيب بان معنى قوله تعالى بحكمه اي بما يحكم به وهو عدله

لا يقضي

٣٢

لا يقضي الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما او اراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو اي والحال انه هو العزيز فلا يرد له امر العليم فلا يخفى عليه سر ولا جهر فلما ثبت له تعالى العلم والحكمة والعظمة والقدرة تسبب عن ذلك قوله تعالى فتوكل على الله اي ثق به لتدع الامور كلها اليه وتستريح من تحمل المشاق وثوقا بنصره ثم علل ذلك بقوله تعالى انك على الحق المبين اي البين في نفسه الموضح لغيره فصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن معاضدتهم وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله تعالى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين اي معرضين فان قيل ما معنى قوله تعالى اذا ولوا مدبرين اجيب بانه تأكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وقرأ ابن كثير ولا يسمع بالياء التحتية المفتوحة وفتح الميم الصم برفع الميم والباقون بالتاء الفوقية مضمومة وكسر ميم الصم بالنصب وسهل نافع وابن كثير وابو عمرو والهمزة الثانية من الدعاء اذا كالياء مع تحقيق الاولى والباقون بتحقيقهما وهم على مراتبهم في المد ثم قطع طمعه عن ايمانهم بقوله تعالى وما انت بهادي العمي اي في بصائرهم وبصائرهم مزيلا لهم ونافلا ومبعدا عن ضلالتهم اي عن الطريق بحيث تحفظهم عن ان يزلوا عنها اصلا فان هذا لا يقدر عليه الا الحي القيوم وقرأ حمزة تهدي بتاء فوقية وسكون الهاء والعمي بنصب الياء والباقون بالباء الموحدة مكسورة وفتح الهاء بعدها الف والعمي بكسر الياء ولما كان هذا ربما اوقف عن دعائهم رجاء في انقيادهم وارعوائهم بقوله تعالى ان اي ما تسمع اي سماع انتفاع على وجه الكمال في كل حال الا من يؤمن اي من علمنا انه يصدق بآياتنا بان جعلنا فيه قابلية السمع ثم سبب عنه قوله دليلا على ايمانه فهم مسلمون اي مخلصون في غاية الطواعية لك كما في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له ثم ذكر تعالى ما يوعدون مما تقدم استعجالهم له استهزاء بقوله تعالى واذا وقع القول عليهم اي مضمون القول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصول او اطلق المصدر على المفعول اي المقول اخرجنا بما لنا من العظمة لهم حين مشارفة الساعة وظهور اشراطها حين لا تنفع التوبة دابة من الارض وهي الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يدركها هارب وروي ان لها اربع قوائم وزغبا وهو شعر اصفر على ريش الفرخ وريشا وجناحين وعن ابن جريج في وصفها فقال راسها راس ثور وعينها عين الخنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد

٣ بنفوتها